الزياحات في القداس الماروني

بقلم الخوري ميشال بريدي
دكتور حقوق كنسية
استاذ اللاهوت والطقسيات

١ ــ معنى الزياح لغة وطقساً

الزياح لغة يمكن فهمه فقط عن طريق اصله المستعمل في السريانية اذ انه من المعلوم ان هذه اللفظة تختص بحجم لغوي مسيحي لا تنطبق معانيه على المعاني المعطاة الالفاظ الموجودة في المعجم اللغوي العربي، ولتأكد من ذلك نذكر ان لفظة زياح لا يستعملها بين المتكلمين باللغة العربية الا المسيحيون وأصلها الاول من أُمد مأمد ويقابلها زاح يزيح المأخوذة اساساً بمعنى تحرك او اهتم ان يتحرك من محل الى آخر ويستعمل بصيغة الفعل اللازم . اما الاصل الثاني لهذه اللفظة فهو أمد مأمد وبصيغة الفعل المتعدي ويؤخذ بمعنى رفع الشيء وحمله وأشار به[1] elevavit, portavit alterum. gestavit اما هذه اللفظة قد تؤخذ في اللغة السريانية بمعانٍ متوسع فيها بأكثر مما تستوعبه في الاصل وذلك من باب ادخال الاوصاف الظاهرة المرافقة لحركة الانتقال وادغام الحركة نفسها بظروف حدوثها فتؤخذ بمعنى « احتفل بالعيد مترعاً » كقولهم ܥܒܕ ܥܝܕܐ وأمد ܐܬܝ ܠܗ او كقولهم ܥܒܕ ܚܓܐ وأمد ܐܬܝ ܠܗ .

ومن البديهي ان أمد في مثل هذه الجمل لا يعني حركة الانتقال بل فعل الاحتفال والاتيان بذكرى المسيح او العذراء مريم ام الله[2] celebravit festum laudibus .

وعليه يكون الزياح بمعنى التطواف او الاحتفال او احياء الذكرى او التعيد بتقوى وعبادة ولهذا يتحتم علينا القول ان الزياح بحسب تحديداته السابقة لا

يتضمن سوى عنصر شبه مادي ينقصه عنصره الصوري élément formel لكي يحدده بدون التباس فينوعه ويوجهه الى غايته القريبة والبعيدة . فكل حركة تجري ضمن نطاق الطقوس البيعية لها غاية قريبة هي التأثير على نفس المشترك بها بواسطة النظر او القول او السمع عن طريق تلك الاحساسات التي تنتج طبعاً من تلك الحركات اذ تثيرها في النفس او توحيها للعقل .

وهناك غاية بعيدة لكل الحركات الطقسية اجمالاً وهي : اداء العبادة الجمهورية الواجبة لله تعالى حيث تشترك النفس والجسد والفرد والمجتمع البشري بالسوية[٢] .

هذا ما يجعلنا بحاجة الى التنويه عن تحديد لفظة زياح ليس فقط لغة بل وطقساً وتوسيعاً اي بحسب المعنى الموافق لهذه اللفظة في كل رتبة من الرتب وبما ان كلامنا هنا عن الزياحات في القداس الماروني يجب ان نتوخى تحديد هذه اللفظة بشكل يمنع عنا الالتباس لدى تحقيقنا عن وجود الزياحات وتاريخها وأمكنتها في القداس الماروني واظن انه هنا بيت القصيد في كل الابحاث عن القداس الماروني ، لان هذا الاخير يحوي عناصر مختلفة المنشأ والعصر ، وقد بينها مرّ العصور وهيمنت عليها الروح الانطاكية المسيحية الارامية . فاذا اخذنا العنصر الخارجي من لفظة زياح الطقسية اي الاحتفال والتطواف بشيء مقدس لا يمكن تطبيق هذا الاسم الا على حركتين طقسيتين فقط وهما زياح كتاب الانجيل قبل تلاوته بصوت ذي نغمة ان لم نقل بترنيم صريح[٤] .

ثم زياح الجسد والدم الموجودين تحت شكلي الخبز والخمر ، لدى تناولها او توزيعهما على المؤمنين الحاضرين والمستعدين لقبولهما .

وقد تفتتح الزياح الاول صلاة البركة على البخور مع طلب تقديس النفوس بالروح القدس لتكون سامعين لانجيل المسيح وعاملين به ، وينتهي بترنيمة من لحن قُمّهل عند العودة من المنبر او من بين الشعب الى المذبح .

اما الزياح الثاني فيبدأ باعطاء البركة بالشكلين المقدسين يميناً وشمالاً من الصدة وينتهي بعد توزيع الاسرار على المؤمنين (اذا حدث ذلك) ، بتكميل البركة بهما لجهة المحتفل الامامية والورائية ، أي لجهة الشعب مما يعرف «بدورة الكاس والصينية » .

وقبل ان ننتقل الى التنقيب عن اوصاف الزياحات في القداس الماروني وعددها الاجمالي يجدر بنا اكمالاً للفائدة واتماماً لبحثنا في لفظة الزياح ومعانيها ان نشير الى سائر المآخذ التي تؤخذ بها هذه اللفظة في لغة المسيحيين عدا استعمالهم لها في ما يختص برتبة القداس .

فلنرجع بحسن اسلوب للسؤال مجددًا عن اصل الكلمة اللغوي : ان لفظة زياح اذا اعتبرناها مشتقة رأساً من اللغة العربية زاح واساساً من السريانية ܙܰܚ كان معناها اللفظي نقل الشيء من محلّ الى آخر وحركه من مكان الى غيره .

وعليه فاستعمالها عند المسيحيين يكون بمعنى طاف بالشيء او اليه باحتفال من مكان معين الى مكان آخر بغية التكريم او الوقار او السيادة الجمهورية ويكون الطواف عندئذٍ بشيء من الابهة ومع هذا المعنى ينطبق التحديد الذي نجده في كتاب الرتب الروماني : وتوصف به كل انواع الزياحات التطوافية كزياح الشمانين وزياح المسيح يوم الجمعة العظيمة وزياح الكاهن الجديد والولد المعمد الخ .(٥)

اما اذا اعتبرناها مشتقة رأساً من الاصل السرياني ܙܰܚ فتكون لفظة زياح لفظة دخيلة على العربية ويكون معناها : رفع الشيء المقدس حاملاً اياه محركاً حركةً بيّنةَ المغزى واضحة المعنى كأن تكون للبركة كما في زياح القربان المقدس وزياح الايقونة(٦) . او كأن تكون لتقديم المزيح فوق الرؤوس الساجدة اظهاراً للاعتراف به او الايمان به او عرفاناً للجميل له والشكر على النعم كما في زياح دورة الكاس والصينية او كزياح الصليب في ايام الصوم وقد يكون بهذا المعنى ما يقوله البسماني عن عبارة ܐܘܕ ܙܰܐ(٧) .

وقد يتوسع بهذا الاستعمال فيقال عن المؤمنين الذين كانوا يقبلون في الماضي القربان المقدس على ايديهم اليمنى مرتكزة على اليسرى ليتناولوه من ثم بأفواههم ان ابناء البشر يزيحون جسد الرب على ايديهم : ܟܬܝܫ ܐܝܕ ܕܒܪ ܐܢܫ ܥܠ ܐܝܕ ܡܫܝܚܐ (من الالحان السابقة للشرقة في طبعة القداس الاولى سنة ١٥٩٤) .

وعليه تكون كل حركة تحريك بالاشكال المقدسة زياحاً اكان في القداس ام خارجاً عنه .

اننا نحن نتوخى حبًا بالوضوح في المعاني حصر البحث في الحركات الانتقالية التطوافية في القداس وتصرف النظر عن سائر معاني الزياح لغة وطقساً وتوسيعاً.

وعلى هذا الاساس لا يبقى في القداس الماروني بحسب حالته المعروفة منذ طبعه لاول مرة في ١٥٩٤ حتى ايامنا سوى زياحين، زياح كتاب الانجيل المقدس ثم زياح الاشكال المقدسة من المذبح الى الشعب لمناولته ومن هنا الى المذبح تذكارًا للموتى المؤمنين وطلباً لراحة نفوسهم اولئك الذين احبوا الملك المسيح في اورشليم السماوية . . . حلّوهكم حصُّمها ١٨٥٥ وحنا حتّسكّم . (طبعة سنة ١٥٩٤)

حول وجود هذين الزياحين لا يمكن اثارة اي شك نظرًا للنصوص المحفوظة في كل الطبعات على السواء بزيادة او بنقص ما خلا الطبعة الاخيرة والطبعات المصنوعة لاجل الكهنة المسافرين .

اننا قد يجوز التساؤل :

٢ ــ هل من زياح عند صمدة القرابين في بدء القداس الماروني؟

ان الرب يسوع عندما وضع سر الافخارستيا استعمل الخبز والخمر الموجودين امامه على طاولة العشاء السري ليحولهما الى نعمة وهبة سماوية . لذلك جل ما يفترض هو اعداد الخبز والخمر على المذبح قبل البدء بحفلة او رتبة سر الافخارستيا.

وهذا لا يعني كما يقول العلامة يونغمان[٨] ان الصمدة او اعداد القرابين تشكل بذاتها رتبة طقسية فانه يكفي بان يجلب احدهم الى المذبح ذينك العنصرين قبل ان تبدأ الرتبة الدينية المعروفة بالقداس ولهذا يلاحظ في المستندات القديمة عدم وجود اية دلائل تثبت ضرورة اعداد القرابين فانه ما دامت الافخارستيا تجري مع الوليمة الاخوية Agape لم يكن هناك اية حاجة لاعداد الخبز والخمر لأنهما كانا بذات الفعل على طاولة الوليمة. (وقال لهما امضيا واعدا لنا الفصح لنأكله) لوقا ٢٢/٨ .

ومع ذلك ففي بداية القداس السرياني عامة والماروني بنوع خاص « صمدة القرابين » ترافقها حركات لها رموزها ونصوص تفرضية ، لها قيمتها وخطتها التوجيهية بما قد يشكل رتبة طقسية شبه مستقلة لو صح التعبير . ولا عجب في

ان يكون السريان الذين اشتهروا قبل غيرهم بتمويلهم على النظريات الرمزية[١] قد انشأوا رابطة وثيقة بين صمدة القرابين في اول القداس وبين الذبائح النظرية منذ فجر البشرية . وقد جعلوا من قداسهم خلاصة الذبائح التي نمى عنها الكتاب المقدس في المهدين .

والواقع ان صمدة القرابين بما فيها من خبز وخمر وبخور ترتبط مباشرة مع ذبيحة ملكيصادق[١٠] حبر الله العلي كما ترتبط بالوقت نفسه بنا. على ما يذكر في نصوص الصلوات التي تقال فيها ، بالتقادم والقرابين والعشور والصدقات التي كان يجلبها المؤمنون مع الزكاة والنذور ويقدمونها لبيت الله او للكهنة او الديورة او الفقراء[١١] . فهذا يلفت نظرنا بالحاح الى ضرورة تقدير محتويات القداس الماروني على ضوء مبدأين شاملين : كل جزء فيه له قيمته الارتباطية بما سبقه من طقوس وعبادات لدى شعب الله المختار ، وله قيمته الاخرى الاستقلالية التي تأتيه من سذاجة الحوادث التي جرت في تاريخ المجتمع المسيحي الناشئ ومن يهمل هذين المبدأين يتعذّر عليه فهم حقيقة القداس السرياني الماروني فيجد فيه خلطاً لا مفرّ منه في المعاني وفي الاصول والنصوص[١٢] . ان الحقيقة هي ان صمدة القرابين المختارة مما تبرع به الشعب المؤمن تتصل مباشرة بالتقادم الزكية التي ارتضى بها الرب منذ الاجيال القديمة وعليه نجد العادة منذ ايام الرسل بان لا يتقدم احد الى الاجتماعات الاخوية وهو فارغ اليدين (اعمال ٢/ ٤٤ ، ٤/ ٣٤—٣٥) والّا عدّ تقدمه هذا عاراً عليه فيقول القديس قبريانوس مثلا : كيف تتجاسر يا غني ان تدخل الكنيسة خالياً من القربان وانت تتناول من القربان الذي قدمه الفقير؟ (دوبهي ١/ ٣٨٩) [١٣] .

وكذلك يقول القديس قيصاريوس : فليخزَ من نفسه الرجل المكتفي عندما يشارك الغير في قرباتهم[١٤] .

اما المشكلة التي تخلقها لنا المستندات التي نقابلها بعضها ببعض هي هذه : هل حدث يوماً او في تاريخ ما ان وضعت السلطة نظاماً للتقدم من المذبح بغية تسليم الشماس او الكاهن القرابين التي يجلبها من بيته كل مؤمن : وهل اتخذ مثل هذا النظام شكل تطواف او زياح ؟

من المؤكد ان التقدم الافرادي المنتظم لتسليم التقادم الى خدام المذبح لا

يمكنه ان يشكل زياحاً بالمعنى الطقسي ومن البديهي ان يأتي كل مؤمن مصطحباً عطيته في وقت مبكر قبل الاجتماع ليستودعها من يلزم او كما يذكر كتاب « وصية الرب يسوع » Testamentum Domini وهو مستند سرياني او سوري المنشأ ، ليستودع المقدّم قربانه في غرفة الخدمة[١٥].

ولكن اول ما يظهر ذكر هذه العادة اي استيداع الصدقات والتقادم في غرفة الخدمة — هو في الجيل الخامس مع مؤلفات ديونيزيوس الغير المعروف في مؤلفه عن المراتب الكنسية[١٦].

فحيث جرى مثل هذا الاستيداع كان من الطبيعي ان يفسح المجال لزياح سابق او لاحق لتكريم هذه القرابين مما اثار شكوك بعض اباء الكنيسة مثل البطريرك اوطيخيوس المتوفى في سنة ٥٦٥ فحاربوا كل تكريم خارجي للقرابين قبل تقديسها[١٧].

هذا ما جعل العلامة الدويهي ايضاً يكتب مقطعه المشهور في هذا المعنى حيث يقول بشيء من الجزم في موضوع لم يتمكن معاصرونا الجزم فيه لفقدانهم المصادر الكافية :

« . . فلما انتشرت الديانة المسيحية واطمأنت الخواطر امر الملوك بفتح الكنائس وحينئذ امر الآباء اصحاب الكرسي الانطاكي بأن تصعد الاسرار منذ ابتداء القداس على المذبح الكبير على شبه ما صنع السيد المخلص قدام تلاميذه دون ان ينقل القرابين من موضع الى موضع » فان المسيح واحد وفي موضع واحد اخذ الخبز وباركه وقدسه وفرّقه على التلاميذ . فتبع اهل الشرق مشورتهم وحمدوا عاقبتها . . »[١٨].

لقد دوّنا هنا هذا النص للدويهي ونحن ندرك ان الكثيرين من مطالعيه يعرفون مخالفته لرأينا في الاساس فالدويهي أخذاً عن المؤلفين الغربيين الذين درس عليهم او درسهم في اوربا ظن حينئذٍ ان اصول الرتب الشرقية والاولية في الكنيسة هي المحفوظة لدى اليونان البيزنطيين مع ان مثل هذا الرأي الخاطئ لا يحتاج في يومنا الى اي رد اذ قد ثبت للناقدين والباحثين المعاصرين لنا ان الرتب البيزنطية لا تمثل الا مرحلة متأخرة جداً من مراحل الطقوس الشرقية . انما السبب المشار اليه ، وربما لكون الدويهي اتفق ببعض المخطوطات السريانية

الملكية الاصل وبالتالي البيزنطية التي وجدت بين ايدي الموارنة عرضاً وصدفة ، قد ارتأى بان « صدة الاسرار المقدسة منذ ابتداء البيعة ما كانت تصير على المذبح الكبير بل في موضع مخفى عن نظر الشعوب الغريبة . . . »[١٩]

واننا ننصح بان يقابل القارئ الموضعين المغايرين اللذين يأتي الدويهي فيهما على ذكر هذه الامور فالموضع الاول هو الذي ذكرناه اخذاً عن المجلد الثاني لمنارة الاقداس في باب زياح الاسرار ونقلها الى المذبح الكبير .

اما الموضع الثاني فهو الذي تجده في المجلد الاول صفحة ١٠١ في باب تبخير الاسرار بعد صدها حيث يقول قولاً بادي الشبهة من جهة الاسناد التاريخي قوياً من جهة التحقيق الوضعي :

« في مبتدإ الكنيسة كانت الاسرار تصمد في الخزانة (سكرستيا) او على مذبح صغير من جهة الشمال وكان ذلك يصير سراً . . . وفي العهد العتيق كان القربان يقدم على مذبح والبخور على مذبح حسب ما امر الله موسى بان يقيم مذبحين احدهما للذبيحة والآخر للبخور ، ولما اجتمع المجمع الاول في نيقية نظر اصحابه في جميع امور الديانة المسيحية ووضعوا لها قواعد وسننا بحسبما الهمهم الروح القدس وتأملوا شأن التقدمة المالحة الغفران وقد كان الله ازال عنهم نير الكفار وابطل تسليمات الناموس وأمرهم بتقريب جسده الكلي قدسه وان مذبح الذبيحة ومذبح البخور كانا اشارة الى موته تعالى على خشبة الصليب فداء للعالم وانه اعطانا ذلك الجسد بعينه لتقدمه في السر فدية عن شعبه . وعليه فقد امروا بان يقام في الهياكل مذبح واحد لا غير يقدم عليه القربان والبخور معاً . ومن ذلك الزمان امروا بان يصير اعداد التقدمة اي صدتها في بيت القدس على المذبح بدلاً من اعدادها في الخزانة . فأخذ اهل الشرق من ذلك الحين يعدون الاسرار في اول القداس واما اللاتين فبعد قراءة الانجيل واما الروم فقد ثبتوا على العادة القديمة والى الآن ينصبون مذبحين غير ان ما قضى به الآباء جديداً هو الاجدر والاولى[٢٠] .

اما من هذا النص الوجيز فلا يجوز الا التنويه بنقصه عندما يستشهد بمجمع نيقيا ، ولا يظهر أن مثل هذا المجمع اصدر مثل هذه القرارات خصوصاً وان المسيحيين لم يتسلموا من الناموس سوى الاضطهاد وذهنية الخطيئة والفساد اللذين

طالما حاربها المعلم بولس المختار فان هذا القبيل لا علاقة للعبادة المسيحية بالعبادة اليهودية[٢١].

ولاجل الفائدة ايضاً نختصر وصف صندة القرابين في القرون الوسطى نقلاً عما حفظه لنا الدويهي وغيره.

كان الكهنة يخرجون ايام الآحاد والاعياد المفرحة يصحبهم شمّاسان قاصدين الشعب في جمع الخبز والخمر لاجل التقدمة فيجمع احد الشمامسين الخبز من الشعب والآخر الخمر ثم يعودون جميعاً الى الكنيسة لتقدمة القداس ولم يكن الكهنة المحتاجون (كل هذا مأخوذ عن الكتبة اللاتين ...) وحدهم يفعلون هذا بل سائر الاساقفة ايضاً حتى بابا رومية[٢٢].

او كان الشمّاسان ينتظران الشعب عند مدخل الكنيسة فيستلمان منهم التقادم ثم ينقلاها الى جهة المذبح فيخرجها الكاهن بجملها ثم يختار منها رئيس الشمامسة او الكاهن نفسه ما يعرف انه ضروري للخدمة وشركة الشعب (اي متناولتهم) فيصلي عليها القطعة المعهودة: «ايها الاله العظيم والحبيب الذي قبل قربان عبيده المؤمنين» ثم ينقل القربان الذي اختاره نحو وسط المذبح قائلاً مع اشعيا النبي: قُدّم وهو خاضع ولم يفتح فاه كشاة سيق للذبح وكحمل صامت امام الذين يجزّونه (اشعيا ٥٣/٧) وهذا الرأي بيّن التأثر بارا. علما. الطقوس المعاصرين للدويهي. «ثم يمسكه بيديه الاثنتين ويقدمه لله رافعاً به يديه وقائلاً: اللهم الذي قبل قربان هابيل الخ .. ثم يرسم به صورة الصليب على الصينية ويضعه عليها ويقول مع موسى النبي: جعلت يا رب كرسي مجدك في مقدسك فاصنعه يا رب بيديك الرب يملك الى ابد الابدين» (خروج ١٥/١٧—١٨) ويخطيه بالنافور الصغير قائلاً معّ داود «الرب ملك ولبس البهاء»... مزمور ٩٢/١[٢٣].

وبما ان الدويهي يأنف من ان يعتبر تقدمة الخبز والخمر وسائر القرابين المرافقة لها من نوع ذبيحة ملكيصادق الكاملة في نوعها[٢٤] فلهذا يجتهد في تبيان ما تشير اليه بالرمزية (شأنه في ذلك شأن معاصريه في اوروبا) كل الحركات والآيات التي توافق هذه التقدمة ليجعل منها استعداداً لذبيحة جسد الرب ودماً لتجسد ابن الله الكلمة في احشاء البتول. ويزيد قائلاً ان الكاهن يمسك الخبز بيديه ويقدمها لله رافعاً اياها لأنه هكذا كان الآباء يقدمون له تعالى

قرابينهم برفع الايدي . وهكذا ايضاً قدم السيد المخلص ذاته للآب ويداه مبسوطتان على الصليب[٢٥] .

اما في الخمر فيقول: لم يكن الكاهن منذ البدء يمزج الخمر بالماء في الكاس بل ان رئيس الشمامسة يفعل هذا وهو ايضاً يختار القربان مما يقدمه[٢٦] .. في ابتداء البيعة كان رئيس الشمامسة وحده يتولى مزج الخمر بالماء في الكأس وعندما كان الكاهن يقدم لله القربان كان يأتي رئيس الشمامسة ويأخذ الكأس ويضع فيها الخمر صرفاً ثم يمزجها بالماء ويضعها عن يمين القربان.. (لكن لتغيب الشمامسة والحوادث اخرى) أمرت البيعة بان الكاهن يمزج الكاس ويوزعها على المؤمنين..[٢٧] والكأس انما كانت توضع عن يمين الصينية لان الرب طعن بالحربة في جنبه الايمن حيث هو القلب ينبوع الدم...والى الآن لم تزل الكأس توضع في بعض الكنائس عن يمين الصينية . وفي بعضها توضع شرقيها لانه اسهل في رسم الصلبان والتبخير وغيرها .

اخيراً يوجه الناقور الكبير نحو الشمال ليبخره ثم يغطي به كل الاسرار «رسماً للبهاء والمجد اللذين اتشح بهما جسد الرب»[٢٨].

وقبل ان تنقل صلاة «اللهم اسألك ان تجعلني» الى المحل الذي هي فيه اليوم كان الكاهن المحتفل حالاً بعد تغطية الاسرار يبخرها ويبخر الصليب والمذبح والكهنة والشعب قائلاً مع الجمهور كله «القرابين النقية» اي نشيد اقبل يا واد التائبين . ومما يجدر ذكره هنا هو ان هذه التبخيرة لا يجوز لاي كان القيام بها عندما يكون المحتفل رئيس الكهنة بل عليه هو ان يقدم هذا البخور لان نذور الشعب وقرابينهم وعطورهم تقدم لله على يد الحبر المنتخب[٢٩].

على ان الغاية من كل هذه هي المساهمة في الذبيحة المقدسة والاشتراك في الوليمة العائلية التي تجمع المسيحيين وتوفير ضروريات المعيشة للكهنة وخدمة الاقداس...

واظن ان هذه الافكار والاعمال هي البدائية في طقس انطاكية واورشليم وانما بقيت على حالها عند السريان لان التطور الاجتماعي والحرية اللذين تمتع بهما الدين المسيحي في الاقطار البيزنطية واليونانية ما كادت الكنائس السريانية تصل اليها حتى كانت انقلبت الاوضاع السياسية (القرن السابع) فبقيت الاعمال

الطقسية على حالها البدائي، فاعداد القرابين امر مشترك بين جميع المسيحيين، اما ان يكون له محل متميز عن المذبح الكبير لتنقل القرابين المعدة عليه بزياح وتطواف الى المذبح الكبير فهذا امر مختص ببعض المناطق حيث لعب فن بناء الكنائس الملوكية Basilica دوره واتسع المجال للتطواف، وفصل حائط مرتفع في وسط الكنيسة بين الشعب والمذبح الكبير Iconostase فحيث لم يحدث شيء من هذه الامور لم يجر ايضاً وضع القرابين على مذبح خاص ثم نقلها الى المذبح الكبير « وصمدة الاسرار أو تقدمة القرابين » التي قد يمكن ان تشكل لذاتها حدثاً او عملاً طقسياً مستقلاً، يجوز أيضاً اعتبارها من وجهتين مرتبطتين في المعنى والتاريخ اي من وجهة الشعب المسيحي كجماعة دينية جديدة تحتاج الى رموز جديدة واجتماعات جديدة تشرك بين المؤمنين، ثم من جهة الذبائح الدينية في شريعة الطبيعة المحفوظة في قلب كل انسان .

وفي كلا الوجهتين نرى الوليمة العائلية وذبيحة ملكيصادق الفطرية ضروريتي الوجود في بداية القداس الماروني السرياني .

لكن لا نرى سبباً لتقدير وجود زياح قرابين ما كان له من لزوم في محيطنا السرياني وفي كنائسنا الصغيرة الحجم منذ ما عرفها التاريخ .

٣ ــ زياح كتاب الانجيل المقدس

هناك ادلة تثبت ان في القداس الماروني رتبة اخرى شبه مستقلة بذاتها لكنها تدخل في سياق الاستعدادات التي تسبق ذبيحة الافخارستيا ويمكننا تسميتها ذبيحة اللسان والاذان او قربان وليتورجيا الكلام الموحى[٢٠] وهي تبدأ بما ظاهره يتفق مع ترتيب احدى الصلوات الفرضية الصغرى مما جعل البعض يسميها صلاة الساعة الثالثة لانها تبدأ بالآيات التي تبدأ بها الساعات الفرضية وكان الكاهن يقترب مجدداً الى المذبح فيقول : لبيتك يا رب اقتربت ... ثم يتلو صلاة افتتاحية ويتبعها بالمزمور ارحمني يا الله ورفقه بتبخيرة عمومية ويقول الدويهي اننا نطلب في هذا الجزء من القداس النور لعقلنا والمخافة وحسن الترتيب لنقف قدام الله بالطهارة والقداسة ليشرق علينا بغنى حكمته ويجد اسراره ومعرفة لاهوته لنخدمه كما يليق به[٢١] فيغفر خطايانا برحمته ويجدد فينا روحاً مستقيماً

ويرشدنا الى طرقه ويردنا عن الضلال (راجع القطعة التي يقولها الكاهن بعد المزمور ارحمني يا الله).

وبعد هذا الطلب تبدأ تحريضات الشماس وحماية وتسابيح الكاهن لتحضر قلوبنا واذاننا لنسمع كلام الله الحي بخوف ونقبله برعدة.

ثم تقال الحماية الملحنة على انغام افرامية والاصل في من يبدأ بها ان يقبل أولاً يد الرئيس المحتفل والجالس على الكرسي دلالة على ان معرفة الاسرار هي صادرة عن العلي والكاتدرا التي يجلس عليها يشار بها الى كرسي الله في هيكل قدسه[٢٢].

ويتبع ذلك التسبيح بالتقديسات الثلاث مع البخور فوق الاسرار ويشار بها بقول الدويهي الى عماد السيد المسيح وحلول الروح القدس عليه وان كلامه يستحق القبول كقول يوحنا: والروح يشهد ان المسيح هو حق... (اولى يوحنا ٥/٦) [٢٣] وكما أمر الرب من السماء ان نسمع لابنه والروح شهد له ، هكذا نذعن لكلام بشارته[٢٤].

وقد رسمت البيعة المقدسة عندما تريد قراءة هذا الناموس في البيعة ان تقدمه بالتقديسات والتراتيل والتهاليل[٢٥].

ثم يقول الشمامسة المزمور قبل الرسالة اعنة معجم لحنوهو ... اما التهليل فلا يقال قبل النبوات ولا قبل الرسائل بل قبل الانجيل لانه وحده يدل على ابتهاج القديسين في الملكوت حيث يشاهدون الله عياناً ومواجهة فان معنى هللويا : مجدوا صاحب الجنود . والتهليل يقال ثلاث مرات .. وبين التهليل يقال دائماً التقدام من كلام العهد العتيق ويقال فتقاماً من اللفظ والاجابة. وحينئذٍ يبدأ برحلة القراءات[٢٦].

وقد رسم ابائنا بطاركة انطاكية ان لا تقرأ سوى الانجيل الطاهر الذي هو قوة الله وحياة من يؤمن به مع فصل من رسائل بولس المصطفى لانجيل الله[٢٧].

ونلاحظ تقريباً بغرابة ان الموارنة لا يقرأون الا من رسائل بولس ولكن استغرابنا ينقلب اعجاباً عندما يثبت لنا بالتروي والمقابلة ان هذه العادة هي من اقدم العادات في الكنيسة اذ ان اللاتين انفسهم في فروض الآحاد وقداساتهم

لا يقرأون على مدار السنة الا من بولس الرسول ما عدا بعض شواذات[٢٨].

ثم فيما يدعو الشماس الشعب ليبقى في سكوت وينصت ويشكر كلمة الله الحي يضع الكاهن بخورًا ويبدأ بمدح الثالوث المجد بجوهر واحد وسلطة واحدة... ويسأل الرب ان يرفع عن قلوب السامعين الحسد والغش ثم يلتفت الى الشعب ويمد يمينه ويدعو لهم بالبركة ، التي منحها الرب لتلاميذه في جبل الزيتون وعلية صهيون .

والمؤمنون منذ ابتداء النصرانية الى الآن لم يزالوا يكرمون الانجيل بايقاد المصابيح وبالبخور ويخضع له ملوكهم ويعكف عليه رؤساؤهم وعندما يقرأ يقوم جميع اولاد الكنيسة على اقدامهم ويكشفون رؤوسهم ... اذ يعتقدون ان الناطق فيه هو روح الرب ملك السلاطين ورئيس الاحبار[٢٩].

على ان هذا الوقار يصير خاصة في خدمة الاسرار ، بالاعياد الصارخة عندما يخدم القداس رؤساء الكهنة فانه بعد تلحين الثلاثة التقديسات يخرج رئيس الشماسة من الخزانة وعلى صدره كتاب الانجيل ويتقدمه الشماسة بالمناثر وهم يرتلون المزمور والكهنة بالمباخر وهم يلوحون بالمراوح فيخرجون من الباب الشمالي ويدخلون من الباب الملوكي. (هذا الوصف مأخوذ عن الروم).

وبعد قراءة الرسالة يتقدم رئيس الشماسة فيقبل يد الراس قائلًا ... ويأمر فيباركه قائلًا ... وبعد ان يرتل الشماسة التهليل والكهنة القنقام يسير به الى المنبر ومعه اثنان من الابوديا كونية (اي الشدائقة) فيصرخ الرسائلي : ... اي (امام بشارة مخلصنا) ثم يترجم احد الكهنة : ... ثم ان الرسائلي ينادي الشعب قائلًا ، تقدموا الى امام فيباركهم رئيس الكهنة قائلًا : ...

ثم ان رئيس الشماسة يفتح الانجيل على المنبر ويسمي كاتب الانجيل قائلًا ... والرسائلي يصرخ كونوا بالسكوت ثم يقول رأس الشماسة ... فيطلب الشعب البركة قائلين ... وحينئذ يقوم الرئيس من الكرسي ويباركهم قائلًا ... وعندما يباركهم يكونون مكشوفي الرؤوس قائمين بخوف وورع في حين ان حامل المبخرة يبخره

ويكرر رئيس الشمامسة الترجمة اي مع اهل الحكم والشعب يطلب الرحمة قائلاً: مدي المؤمن حكم.

واذ ذاك يبدأ رئيس الشمامسة بقراءة الانجيل بصوت عالٍ ونغمة لذيذة مهيبة ونطق منتظم ويختمه بكلمة حدحدحد ويطويه وينزل فيقبل يد الرئيس وعند نهاية الفصل فان الرئيس يخاطب الشعب قائلاً : مصما حدحدم .

ويشار بخروج الانجيل من الخزانة على صدر رئيس الشمامسة الى الكلمة الازلية من حضن ابيه ونزوله الى الارض في الجسد على يد جبرائيل رئيس الملائكة [٤٠].

ويدور الانجيل في وسط الشعب ويسجدون له ويقرأ الانجيل في موضع عالٍ ... والذي يقرأ الانجيل يرسم اشارة الصليب... [٤١].

ويقرأ الانجيل رئيس الشمامسة بالسرياني ويترجمه رئيس الكهنة بلغة البلد لاجل فهم الشعب وافادتهم واشارة الى ان الانجيل الذي ينادي به خدام القداس في جميع اقطار الارض هو بنفسه الذي ينطق به المسيح وكتبه المبشرون في الكتاب [٤٢].

ويمنح رئيس الكهنة في بدء قراءة الانجيل السلام للشعب وعند تمامه الامان... ويلوح بالمراوح فوق الانجيل وتمزج امامه المنائر ويوقد البخور.

من حين اعطى الله الناموس الزم الكهنة بقراءته وتعليمه للشعب (اعمال الرسل ١٣/١٤ـ١٦) . وهكذا الزم كهنة العهد الجديد بتلاوة الانجيل المقدس قبل غيره ثم بتفسيره. وكان رؤساء الشمامسة قديماً يقرأون الانجيل ثم يعظ رؤساء الكهنة شارحين ومفسرين . ثم سمح الآباء للكهنة (حتى بحضرة الاسقف) ان يعظوا الشعب واذنوا في غيابهم للشمامسة ان يقرأوا المواعظ في البيعة [٤٣] (وهذه وضع بدلاً عنها مع الزمن ما يعرف بالكرازات أكان ذلك مما يقوله الشماس وحده ام مما يقوله اليوم الكاهن مفترضاً ان القطعة يقولها الشعب معه على لحن حمدا أو همما .

هذه هي الخطوط الكبرى لزياح الانجيل عندنا وقد يعرض للباحث ان يتساءل عن امور جمة مثلا كيف سلخت ترتيبة التقديسات الثلاثة عن قراءة الانجيل الملحقة وجعلت لوحدها قبل الرسائل ثم كيف اندثرت الكرازات وكيف

ضاع الطابع السرياني للانجيل الماروني الخ...

ثم كيف ضاع زياح الانجيل بكامله من طقسنا؟

لا شك ان اولى الخطوات للزياح بكتاب الاناجيل تعود الى ابسط الاسباب وهي : الاجلال العظيم لهذا الكتاب ثم ضرورة تلاوته الاحتفالية من على منبر بالقرب من الشعب .

فكتاب الاناجيل بصفته حاوياً كلام المسيح يمدّ خاصة عند الشرقيين مشخّصاً [١٤] للمسيح نفسه مما ادى بالبيزنطيين الى ان يفخموا تجليده بالفضة والذهب وايقونة المسيح الملوّنة — وقد ساعدهم كثيراً ثراء الاوقاف وكرم الوافدين على مثل هذه المظاهر الجليلة . وهو وحده الشي. الذي يحل وضعه على المذبح المقدس برفقة سر القربان الاقدس .

ولا عجب ان يطاف به بين الشعب فيسمى زياحه عند الروم μικρα εισοδος micra eisodos او الدخلة الصغرى ، وان تضاء الشموع امامه ويحرق البخور بغزارة وتكشف الرؤوس اجلالاً ويتبارك به البعض ساجدين ومطأطئين الرؤوس وقد بقيت حتى يومنا هذه العادة مرعية في الكثير من الكنائس المارونية اذ يركع الكبار والصغار تحت كتاب الانجيل ويطلبون بان يمسّهم الكاهن به على رؤوسهم او ان يحمله احدهم على رأسه طيلة تلاوته على الشعب .

اما الاجلال والوقار اللذان رافقا هذا الكتاب المقدس فقد يختلفان درجة وحرارة بحسب الظروف الاقتصادية في كل كنيسة ومن الواضح ان الكنائس السريانية عامة والمارونية اللبنانية بنوع خاص قد تمتاز بتقواها الأولية المرافقة لفقر احوالها اكثر من فخامة الفنون والابهة ورونق التطواف الذي تسمح بـه احوال الكنائس الملوكية والمعابد الرهبانية في بلاد الروم والغرب . هذا بما يخولنا ان نوجز هذا القسم الثاني من صلاة الفجر الاعتيادية للقداس تحت عنوان « ذبيحة الكلمة في كنيسة الكلمة Opfer des Wortes in der Kirche des Wortes » بالمقابلة مع ذبيحة ملكيصادق في كنيسة او كهنوت الطبيعة ، ومع ذبيحة السر في كنيسة او كهنوت الاسرار [١٥] Kirche des Sacramentes .

ويكفي لذلك ان نتذكر كيف يبدأ الكاهن والشعب في تلاوة الانجيل اذ يجيبون على اعلان الكاهن للانجيل المناسب بقولهم : يا ربنا ارحمنا — فيتابع

الكاهن قوله مهم هذا المؤمنون وكأن كلامه موجه المسيح الذي سيسمعهم اقواله: ليرحمنا ربنا ويرحم جميع اولاد الكنيسه المقدسة وابناء المعمودية الطاهرة ثم يشكرون جميعاً: ليسوع المسيح ربنا تسبيح وشكر وبركة من اجل كلامه الحي العائد لفائدتنا ولابيه الذي ارسله. وعند اللاتين أثر مماثل لهذا الشكر الموجه المسيح رأساً: Gloria tibi Domine.Laus tibi Christe.

وقد ذكر لي الاب ده ماريه De Marey, Redemp عن اخوتنا الكلدان الفارسيين L'Eglise des Perses انهم يسمعون الانجيل المقدس ويجيبون على كل جملة منه بالموافقة مع موضوعها اما بالتزام على الابتعاد عن محرماتها بقولهم مثلاً: نعم يا رب صح ذلك أو لن نفعل مثل هذا ابداً او هكذا نريد ان نفعل يا رب الخ... وكأنهم امام المسيح المتكلم فيهم.

والقديس اغناطيوس النوري يقول ان ملجأه الانجيل. كأنه جسد المسيح يسوع[٤٦].

اما عن طريقة تلاوته فرسم الرسل توجب ان لا يتلوه اي قارئ الا اذا كان كاهناً او شماساً انجيلياً[٤٧] وان يكون في تلاوته من البساطة المشفوعة بالنغم ما يوحي للسامعين المعرفة والاحساس بان المسيح منتصر في مجده بعد القيامة، وبعد تلاوته يقبله ويقدمه للمؤمنين لتقبيله علامة السلام والامان بالرب يسوع وما فائدة التبخير الموجود اليوم عند تلاوة قانون الايمان الا لادغام المؤمنين بضباب العطر الطيب والرائحة الذكية التي تنشأ عن سماع كلام المسيح والايمان به والعمل بوجبه[٤٨].

والبرهان العملي على ذلك ان الشعب المؤمن يبقى واقفاً بخشوع ووقار في هذا الوقت الى تمام التبخير اي بعد ان يكون سمع الانجيل وشكر المسيح على تعاليمه ورافق الاكليروس بترنيمهم مقطعاً شبه كرازة شعرية عن موضوع معين في اسرار المسيح المتجسد او اسرار تقديسه المؤمنين به والذين عملوا بمشيئته واشترك الشعب بهذا الايمان مردداً بصوت جمهوري قانون الايمان بكامله.

ويظهر لي ان الترنيمة التي شبهتها بكرازة شعرية مقتضبة والتي تتغير بحسب الاعياد ما هي الا لموافقة الكاهن او الانجيل بزياح العودة الى المذبح الذي جاء منه بكتاب الاناجيل على اني لا اجد تاريخاً ممكناً لمثل هذا الزياح في

القرون الاولى . فقد يكون مجد ذاته تابعاً لتنظيم صلاة الفجر اكثر منه لتنظيم القداس الذي يبدأ مستقلاً عما سبقه في اول النافور مع العلم ان النوافير كلها تبدأ في نقطة معينة بالرغم من اختلاف مؤلفيها وعصورهم وبقطع النظر عن القسم الاعدادي الذي ذكرناه كأنه لا وجود له او كأنه يتمتع ببعض الاستقلال المكاني او الزمني عن رتبة الذبيحة السرية .

وللعلامة يونغمان رأي لعله مصيب بـه أكثر من غيره حيث يقول : كان القسم الاول من القداس الحالي يشكل فرضاً الهياً : احدى الساعات القانونية (Una autentica hora canonica).

وله قواعده المختلفة تمام الاختلاف عن قواعد القداس فكان من الممكن القيام بهذا القسم في كنيسة ثم الذهاب الى كنيسة اخرى للاشتراك بالافخارستيا . . ونعرف عن رهبان القديس سابا في وادي قدرون في القدس (حيث الرهبان كانوا من بلدان مختلفة اللغات) انهم كانوا ينقسمون جماعات تقيم كل منهـا في لغتها الوطنية الرتبة الدينية الاعدادية بما فيها من صلوات وقراءات ثم يجتمعون معاً في كنيسة واحدة للاحتفال بسر الافخارستيا ابتداء من النافور في اللغة اليونانية[٤٤] .

اما سائر الابحاث والاستنتاجات عن الزياح بالانجيل المقدس وكيف احملته اليوم الطائفة فاننا نتركها لفرصة اخرى على امل ان نلاقي مساهمة في هذا السل من قبل الدارسين الورعين .

٤ ــ زياح الشوتفه او مناولة الشعب

ليس من جوهر الذبيحة ان تنتهي بالوليمة اي بان يشترك فيها الحاضرون مع المقدم لها : انما في الواقع يتبع ذبيحة العهد الجديد ، بحسبما وضع معالمها المسيح وليمة مقدسة تشترك فيها اسرة الرب الاله ، ارلئك الذين بقوة المعمودية يختصون بالمسيح ويؤلفون معه جماعة قلبية باطنية فيقتربون من الله بصفتهم شعباً مقدساً ، فشركة القديسين اي الكنيسة بحناها اللاهوتي يجب ان تظهر في شركة السر أي في الشوتفه او المناولة اذ لا يصح قول Communio او شوتفه بدون إن يشترك كثيرون في الذبيحة الواحدة ويتناولوا جزءا منها[٤٥] . هـذا والنصوص الكتابية اي الاسفار الالهية تعرض لنا الافخارستيا بشكل وليمة اكثر منها

ذبيحة حتى ليضطر اللاهوتيون ان يفردوا مقالات خاصة ليثبتوا طابعها الذبائحي. أما كون الافخارستيا وليمة وذبيحة منذ تأسيسها ، فانك لتجده مفصلاً عند يوحنا الذي يوضح العوامل التي دفعت اللاتين الى تصويب اهتمامهم للذبيحة اكثر منهم للوليمة بينما دفعت البروتستان للتفريط بالاهتمام للوليمة دون الذبيحة بتاتا . ويوحنا يعلن بكل ثقة ان مفهوم « الذبيحة » لا يكفي وحده ليستوعب كل ما يضمنه جوهر الافخارستيا[٥١] . وفي القديم كان غير معقول ان يشترك المؤمن في الوليمة دون ان يشترك في الذبيحة فقبلة السلام بين الحاضرين متوجبة في الطقوس الشرقية منذ بداية النافور[٥٢] مما يدل ان طهارة القلب والاستعداد اللائق للاشتراك بالذبيحة واجبان مع انهما ليسا كذلك فيما لو افترضنا حرية الاختيار للاشتراك فقط في الوليمة دون الذبيحة ، وبالتالي امكانية الفصل والتفريق بينهما . ومن الثابت ان المسيح بعد ان قدس الخبز والخمر جاعلاً منهما جسده ودمه ذبيحة العهد الجديد قام وناول كل فرد من تلاميذه جزءاً من ذلك[٥٣] . وهكذا يقول الدويهي :

«ان السيد المخلص عندما قدس جسده تناول هو اولاً جسده بيديه ثم وضع لكل واحد من التلاميذ جزءاً في يده وتقربوا وعندما قدس الكأس تناول هو اولاً الكأس ثم ناول لواحد واحد منهم وعلى شبه ذلك في بدء البيعة كان جميع الكهنة يأخذون جسد الرب من الصينية ويضعونه في اكفهم اليمنى ويسندونه باكفهم اليسرى ثم يطأطئون رؤوسهم ويتقربون من كفوفهم ولاجل ذلك في حاية مار يعقوب التي نقرأها في أحد الكهنة نطلب منه قائلين : لا تحترق ... فلا تحترق يا رب تلك الكفوف التي حملت جسدك ».

وبعد ان يتقرب الكاهن كان يأخذ من الجند ويضعه للشماسة والرجال ايضاً في اكفهم ، كقولهم في آخر الخدمة : [illegible] . الايدي التي بسطت كفوفها فلتقبل منك عربوناً يا ابن الله . واما النساء فكن يتناولن جسد الرب على اكفهن لكن لا على اللحم بل في خرق او في اوان نظيفة ومكرمة . اما دم الرب فكانت الكهنة تناوله اولاً ثم يتناول الشماسة ثم يأخذ رأس

الشمامسة الكأس ويناول الشعب..

ثم ان الآباء بطول المدة امروا الكهنة ان يفتوا الخبز المقدس في الكأس ويناولوه للشعب في الملعقة[٥٥] ثم ان الرؤساء في بعض الكنائس امروا بابطال هذه العادة اما لاجل الحُطر واما لان الملعقة كانت توضع في افواه كثيرين مختلفي المزاج واما لان كثيرين لم يكونوا يقبلون الخمر كالاولاد والنساء. ولاجل ذلك صار البعض منهم يمدون الجوهرة بالكأس وبعد ذلك يتناول منها الكاهن ويناول باناءه الشعب كما يفعل الارمن. وآخرون يغطسون اجزاء الجوهرة في الدم ويقربون الشعب كما مأمور في الشرطونية عندنا أن يتقرب الكهنة عندما يقبلون وضع اليد. وآخرون يقربون الجسد وحده كما تفعل الكنيسة الرومانية[٥٦].

واما عن طقس المناولة للشعب في اطوار التاريخ فاننا نجد انه خلق عن ذلك شبه مشكلة اعطيت لها حلول مختلفة مع مرور الايام او اختلاف الامصار.

عندما كانت العادة العامة تأمر ان يتناول كل الحاضرين كان من الطبيعي ان يبقى كل واحد واقفاً في محله فيتزل اليهم خدمة المذبح من كهنة وشمامسة ويقربونهم[٥٧] وهذه العادة يذكرها الكتاب الاول للطقوس البابوية Ordo Romanus في الغرب لكنها لم تحفظ الا في الطقوس الشرقية. اما عند الموارنة فلم يبق منها الا آثارها الكتابية التي تثبت وتدل كيف كانت تجري هذه الشوتفة. فالابيات التي تقال بعد «عبيدك والساجدون لك» والتي ينقص منها اليوم في كل حال اننا عشر بيتاً كانت مدونة في طبعة سنة ١٥٩٤ تدل على الكثير مما كان يجري في زياح الاسرار نحو الشعب اشوتفته كما يسميها الدويهي ثم في عودة الاسرار الباقية مع تذكار الموتى المؤمنين الذين يفترض ان الذبيحة تقدمت لاجلهم والشوتفة تقدمت عن موتى المتناولين هكذا.

اما حيث عدد المؤمنين كان ضئيلاً او عدد «المتقربين» قليلاً فكان يسمح لهم ان يتقربوا عند المذبح او بالاحرى عند الدرابزين الذي يفصل بين الخورس وبهو الكنيسة ما عدا النساء اللواتي حظر عليهن مجمع اللاذقية[٥٨] ان يقتربن من المذبح.

والذين كانوا يتقربون يقبلون القربان على اكفهم وهم وقوفاً.

وقد تلاشت هذه العادة عندنا منذ تأثرنا بعادات اللاتين . وعادة المناولة ركوعاً لا تعتبر عندهم قديمة العهد بل يثبت العلماء انها ليست اقدم من القرن التاسع وانه ما اضمحلت تماماً عادة التقرب وقوفاً في اوروبا قبل القرن السابع عشر.

اما قدمية التقرب وقوفاً في الشرق والغرب فمحفوظة الاثر في كيفية تقرب الكاهن المحتفل والاسقف وسائر الكهنة في القداس المشترك

وقد اظهرت الآثار التصويرية في القرن الخامس ان المسيح دار على تلاميذه يناولهم وهم وقوفاً[٥٩] اما المتناول فكان عليه ان يقبل يديه سابقاً فيقبل اولاً (يد الذي يناوله) ويقدم له يديه بالشكل الذي وُصفَ لنا الدويهي ثم يمسح بالقربان حواسه ماساً به عينيه — وهذه عادة سريانية صرف اول من ذكرها افرعات[٦٠] ثم يصلب به على وجهه او جبهته فيقبله ثم يأكله لاحساً كما يلحس الكلب سيده على حدّ ما يقول افرعات[٦١] . وفي هذه الاثناء يرتل الشمامسة والخورس مع الكاهن المحتفل والشمامس الموزع ، الابيات المعروفة بعد (عبيدك والساجدون لك) . وليست العجبة في النصوص الحالية بل لعلّ في اول عهد الكنيسة مقاطع خاصة فقدناها اليوم كانت ترافق توزيع القربان على المؤمنين . وربما المزمور ١٤٥/١٤٤ (أعين الكل اياك تترجى وانت تعطيهم الطعام في حينه)[٦٢] ، ثم المزمور ٣٤/٣٣ كانا مستعملين عند الحاجة انما الاكيد ان بعض الآيات منها محفوظة حتى ايامنا في الطقوس السريانية : (حيث يقول ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب). وهذه الآية مذكورة في كل الآثار المسيحية الاولى التي تصف اشتراك المؤمنين بالقربان المقدس .

عندما يكمل الكاهن شوتفة الشعب ، يعود صاعداً الى درجة المذبح فيرفع الصينية بين أنامل يديه ويقدمها لله عن انفس الموتى اذ يقول : اقبل يا رب قربان ساجديك واصفح برحمتك عن انفس موتاهم . وعند تمامها يضع الصينية فوق الكأس فيضبط الصينية بيمينه والكأس بشماله ويرفعها اذ يقول : ايها الملك السماوي اقبل قرابين عبيدك ...[٦٣] وليس ما يمنع ان يكون الكاهن قد بدأ بالصلاة المتممة لاجل راحة الموتى المؤمنين من حين توجهه الى المذبح حاملاً بيديه ما تبقى من القربان الفاضل عن شوتفة الشعب ، فان الابيات المحفوظة في طبعة سنة ١٥٩٤ تحتوي على قطعتين انتقاليتين لا تجدهما في

الطيبات الجديدة مما يمدّد الوقت حتى يصل الكاهن الى المذبح ويصنع الاشارات الوارد ذكرها في نص الدويهي .

والسبب في الصلاة لاجل الموتى مع رفع الاشكال المقدسة المتبقية يعرضه الدويهي قائلاً « ان البرشانة تقسم مثالثة فالتي تعطى للاحياء (كاهن وشمّاس) تدل على مقامهم في هذه الحياة والتي توضع في الكأس تدل على مقام المطوّبين في المجد والتي تتأخر الى ما بعد المناولة تدل على مقام الموتى . فالاحياء اتحدوا مع الرب في السر المقدس بواسطة المناولة والمطوبون قد اتحدوا معه في المجد بواسطة المشاهدة واما الاموات الذين ما صار لهم ان يتحدوا معه في السر ولا في المجد فقد رحمت البيعة ان تقدم عنهم الجزء الذي انقسم وتأخر لاجلهم حتى يوصلهم الله الى الشركة معه في المجد ولذلك نرفعه هنا بين ايادينا ونقدمه عنهم حتى مثلما هو بقوته ما ترك جسد ابنه يرى الفساد بل اقامه بمجد عظيم من بين الاموات واصعده الى السماء كذلك يقيمهم برحمته ويصعدهم الى حيث هو»[٦٤] .

بهذا ينتهي زياح الشرتفه لكن الرتبة لا تنتهي به بل بزياح الاسرار الاخير حيث يدور الكاهن امام كل الشعب وهو ضابط بيديه الاسرار اذ يقول بصوت مرتفع : « ايضاً وايضاً بك يا رب نحن معترفون والتماجيد لك مقربون لانك اطعمتنا جسدك واسقيتنا دمك الحي . . .

ونجدني ان هذا الزياح الاخير هو اول زياح للقربان المقدس عرفه التاريخ والغاية منه الاولى والاخيرة هي رفع القربان المقدس بشكليه امام الشعب لمباركته وتثبيت ايمانه ولشكران المسيح على نعمه « فيرجعون الى بيوتهم مسرورين . والمراد بتكرار لفظة « ايضاً وايضاً » . . . هو ان بيعة الله مؤمنة أمانة ثابتة بأن جسده قد عرق اولاً على الصليب وها هنا عرق في السر لمغفرة الخطايا . ثانياً « لانه في رفعة الاسرار فوق الرأس قلنا نعم يا رب على التحقيق والتوكيد آمنّا ونؤمن كما آمنت بك البيعة المقدسة » . « فذلك الاقرار بنفسه نكرره ها هنا اذ نقول ايضاً وايضاً وكما اننا هناك اقررنا بتثليث الاقانيم ونجد الكلمة كذلك هنا يصير الاقرار بالحقيقتين»[٦٥] .

هذا الزياح هو افضل تراث محفوظ لنا موروث تمتاز عن الكثير من الكنائس الشرقية والغربية ولو اجتهدنا في تبيان نصوصه ومعانيه لرجعنا خيراً جمّاً لنا ولمؤمنينا .

اما تاريخ انتظامه في قداسنا مبدئياً فهو بدون شك من القرن الاول اذ جاء على ذكره يوستينوس في دفاعه الاول[٢١] .

اما كيف كانت نصوصه وحركاته بالتمام فهذا امر لا يمكن مراقبته الا بالعودة الى المخطوطات والمقارنات الطقسية مما يتعدى نطاق هذا الدرس .

٥ ــ هل من زياح لنقل القرابين بعد الانجيل ؟

ان البحث عن وجود زياح لنقل القرابين بعد الانجيل ينطوي على نتائج البحث السابق له عن تاريخ هذه النقلة وضرورتها . وعندي ان الذين بحثوا هذا الموضوع مؤخراً والذين استنتجوا وجود هذه النقلة عند الموارنة قد تورطوا في استنتاجاتهم لانهم لم يراعوا اصول الابحاث الطقسية وبدأوا من حيث كان يجب ان ينتهوا .

هناك اذاً مقدمات لا بد منها ولا يسوغ تناسيها الا اذا اتخذنا مؤلفاً غريباً أكل الدهر عليه وشرب كنبراس سيضيء لنا ونهتدي به ولكن على غواية اذ ان الضال لا يمكنه ان يعلم الجاهل .

١ ــ ان ابحاثنا في الطقوس مرتبطة بواقع محسوس وتاريخي يفترض اصولاً متمذهة لا يمكن التغاضي عنها . ومنها اننا مرتبطون بذات الفعل بالشكل الهندسي الذي نتصوره في فكرنا او نتحققه في الواقع عن بناء كنائسنا التي اما أن تسمح او لا تسمح بان تجري فيها نقلة للقرابين . وكنائسنا بدون شك لم تكن ابداً على شكل واحد لكن من المؤكد انها لم تتسع ابداً ليكون فيها مذابح وخلوات متعددة كما هي الحال في البناء البيزنطي والروماني مثلاً .

٢ ــ التقدمة شيء والنقل مع زياح القرابين شيء آخر . والاولى لا تفترض الثاني والقداس عامة والماروني خاصة لا يفترض حتماً وجود تقدمة بالمعنى اللاهوتي : يعني ان التقدمة إما تفهم بصعدة القرابين اي اعدادها على مذبح القداس وهذا حدث طبيعي لا بد منه ، واما ان تعني حركة طقسية يقصد منها الصلاة لله ليقبل القرابين المعدة لتتحول الى جسد المسيح ودمه[٢٢] . ولكن كلاهما قد لا يدخلان حتماً في طقس القداس بصفته ذبيحة العهد الجديد ، خصوصاً وان صعدة القرابين عند الموارنة السريان هي مبدئياً ذبيحة ملكيصادقية ولها علاقة بالبواكير

والتقادم المأخوذة من الاملاك والبساتين للاحتفال بعيد صعود وهي ذبيحة منفصلة نظرياً théoriquement عن ذبيحة الكلمة (القراءات الناموسية والتي يليها اخيراً ذبيحة السر (افخارستيا العهد الجديد) . وصمدة الاسرار اصلها المأدبة التي كانت بدون شك في بداية الاجتماع Agape ثم التقادم التي كان المؤمنون يأتون بها من بيوتهم ولا يعقل ان يمسكها كل بيده من اول الاجتماع حتى تنتهي ذبيحة الكلمة « او رتبة القراءات » .

اما نقل القرابين مع كشفها فهذا كان يجري فقط في الكنائس الموجود فيها مخبأ او خزانة او مائدة خصوصية « prothesis بروديس » مجاورة للمذبح الكبير وكان يجري ذلك بعد تلاوة الانجيل فيما لو كان هناك موعوظون . . . ولكن في اي امكنة وفي أي عصر كان الموعوظون يشكلون طبقة خاصة من المؤمنين وهل يجوز افتراضهم منذ بدء الكنيسة وفي كل اقطار العالم المسيحي ؟ هذا مردود اليوم بمحض العودة الى المنطق والتاريخ العام وقطع النظر عن التاريخ البيزنطي والروماني .

٣ — قياس البحث في الامور الطقسية هي النصوص المستعملة والنصوص يجب ان تتكلم عن نفسها اي عن معانيها وعن غاياتها وعندئذ تصدق ، ويزيد في تفسير النصوص وتوجيه معانيها الحركات التي ترافقها اذا كانت توافقها ويزيد في تفسير النصوص والحركات المحيط والبناء الذي تجري فيه والالحان التي ترتل بها او هي قابلة الترتيل بها فيما لو كانت موزونة شعراً .

والحال ليس في نص « انا هو خبز الحياة » ما يلزم كونه مرافقاً لنقل الاسرار اي القرابين من موضع الى آخر مع العلم انتا لا نملك اليوم النص الاصلي الاصيل لهذه القطعة[٦٨] .

اما الذين ارتكزوا على آراء ومصادر الاب هانسنس Hannssens فكان الاولى بهم ان يعودوا إما الى مؤلفات احدث منه[٦٩] وأوسع اطلاعاً واما ان يقوموا هم بما لم يتوفر للاب هانسنس ان يقوم به وهو الذي صرح لي في مقابلتي له في روما سنة ١٩٥٦ ان اقباله على درس ونشر موضوع مؤلفه ضرب من الجنون والهوس الشبابي فان الموضع اكبر بكثير من ان يتوجه بشخص واحد . وكنت حينئذ اطالبه بتكميل كتابه بخصوص الاجزاء الاخرى عن

الفروض الالهيـة الشرقية التي كنت اسعى لوضع اطروحتي عنها وقد اقر ان الكلام المجازف دفعه الى اخطاء وعرضه الى اخرى مما حدا به الى الاعراض عن اتمام المؤلف الذي بدأ به . اما أخوه بالرهبنة العلامة يوحنا فقد توفق فرق كل مزيد في كتابه عن القداس الالهي والمصادر الذي يسردها تفيد جـدًا للباحث عن القداس الشرقي[٧٠] .

٤ — قد يكون هنـاك سبب وجيه لزياح القرابين بعد الانجيل في تلك الكنائس التي درجت لديها عادة حفظ جزء من قربان سبق تقديسه ليدمج في القربان الجديد ، ولكن هل من أثر لمثل هذه العادة عندنا؟ [٧١] . وأين ابتداء الكنيسة السريانية من القرن الرابع عشر الذي تم فيه ترتيب الدخلة الكبرى البيزنطية لنقل القرابين ؟

وهناك تفاصيل عديدة لا مجال لسردها تثبت لنا ان لا زياح للقرابين بعد الانجيل عند الموارنة ولعلّ المقاطع والنصوص المقولة عندئذٍ هي لمرافقة الانجيل في عودته من المنبر الى المذبح مع العلم ان انشودة « انا هو خبز الحيـاة » لا تقال كل يوم بل هناك غيرهـا لايام الاسبوع كلها ولأغلب الاعياد الربانية والمريمية واعياد القديسين كما ان هناك انشودة يقولها الخادم في هذا الوقت شبه كزازة (ولعل الانشودة الاولى جزء من هذه الكزازة) تقول « فلنقف كلنا مصلين » وهذه لا علاقة لها بزياح القرابين ولا بنقلها .

إخيرًا ان المعروف عن الطقس الاورشليمي المحفوظ حتى عند اللاتين اليوم (الدومينيكان والكرمليين القدماء الخ.) انه يصمد القرابين منذ اول رتبـة القداس . فاذا تذكرنا ان الطقس الاورشليمي المذكور انتقل الى اوروبا اقلّـه منذ القرن الثاني عشر ، وأن تأليفه هو بين تأليف القداس السرياني من جهة تركيب الرتب والحركات الظاهرة ، وان نصوص بولس الرسول تفترض وجود المأكل والمشرب في المحـلّ نفسه الذي تجري فيه من بعد « رتبة تذكار آلام المسيح وموته حتى مجيئه » وأن القرابين المصمودة على المذبح تبخر لوحدهـا كل مرة يبخر المذبح ، اعتبرنا ان صمدة القرابين عند السريان الموارنة ثابتة في بداية القداس وبالتالي من المستحيل افتراض زياح لنقل القرابين بعد تلاوة الانجيل ، اللهم الّا اذا اعتـبرنا بتأمين نظرية بعض اللاهوتيين اللاتين الذين يريدون جمع

التقدمة الى الذبيحة عن اقرب طريق بالرغم من ان الشرقيين السريان لم يعيروا أية اهمية لمثل هذا الجمع بين التقدمة والذبيحة ولم يعتبروها ابداً من ضروريات الذبيحة في ما عدا اعداد القرابين على المذبح بقطع النظر عما قد يعني مثل هذا الاعداد بالنسبة للذبيحة السرّية .

ختام

ليس لدي ختام افضل من ان نستوحي المعلم غواردیني لننهي بعبارات من روحه هذا البحث عن الرياحات في القداس الماروني . يقول غواردیني : ان الاختصاصيين خطرون في كل آن وأين وهم اشبه بالذباب والديدان يمتصون الحياة من صاحبها رويداً رويداً الى ان يفتقر دمه وينسل[٢٢] .

« لكن عندما يتدخل الاختصاصيون في امور الهيكل والمعبد فليس اخطر منهم واجرى بغضبنا » .

ان الرجل البسيط الذي يرتد الكنيسة عند الاحتفال بالقداس الالهي والذي لا يرغب سوى في تقديم واجب الخضوع والعبادة لله، والمرأة الفقيرة، التي حنت ظهرها اثقال الحياة والتي تأتي الى الهيكل لتجد شيئاً من السلوى عن اتعابها واحزانها ، وكل جمهور المؤمنين الذين يتقربون من المعابد ليقووا ايمانهم بالرغم من صلابة قلوبهم وينهلوا الشجاعة الكافية للقيام بواجباتهم اليومية النكداء، كل هؤلاء يفقهون جوهر الطقوس ويشعرون بها اكثر من اختصاصي يسعى مثلاً لادراك جمال حركة او مقطع من النافور او من التقدمة او من الكرازات او ليستوعب من طريق التحاليل والتواريخ والمقابلات قيمة رياح الاسرار او رياح الانجيل المقدس في القداس الماروني[٢٣] .

« . . . انما الطقوس والرتب وضعت قبل كل شيء لتكون اداة لخلاص النفوس » .

وجوهر الطقوس ليس في جلال الحركات والمواقف ولا في وقع الانغام ولا في صدى التعابير والنصوص الخطابية كما لو كنا نحضر تمثيل رواية روحية او

دراما مقدس Auto espiritual o drama sacro . كلا بل جوهر الطقوس في ان تخطو بواسطتها تلك النفس المخلوقة على صورة الله خطوة جديدة تقرّبها اكثر فأكثر الى الله الذي خلقها .

... وجمال الطقوس لا يظهر الا لمن يتولّع بحقيقتها سابقاً . واستيعاب جمال الطقسيات في قداسنا الماروني يتحقق لكل واحد بنسبة امكانياته الشخصية من ثقافية ونفسانية وصحيّة ومن ذوق نوّرته بعض المعلومات التاريخية الصادقة ووجّهه شيء من الانتباه اما للنصوص المسموعة او لتلك التي تتلى بجمية الكاهن المحتفل في كتاب يدل المؤمن ويرافقه الى الكنيسة ليكتشفها . جعلنا الله ممن يسعون السعي الحسن ويقرعون ليفتح لهم .

NOTES

فيقول عنه السماني :

(1) «In sacris officiis usurpatur de re solemniter ultro citroque gestata», *B. Or.* III, II, 700.

أي تستعمل في الفروض الليتية للاشياء التي تحمل من مكان الى آخر باحتفال .

(2) Cfr. PAYNE-SMITH, *Thesaurus Linguae Syriacae*, p. 1098.

(3) «Le rite religieux est un ensemble convenu de mouvements, de sons et de paroles, qui forme le cadre dans lequel l'action communautaire religieuse peut s'accomplir... il est, donc, *social en son accomplissement même*. Il ne peut être réalisé comme il se doit que par le concours actuel de plusieurs personnes dont il manifeste l'accord. Les rites communautaires de l'Église excitent et manifestent l'actuel accord social des fidèles.

Cfr. GUY DE BROGLIE, s.j., *Pour une théologie du festin eucharistique*, dans «Doctor Communis» I (1949) 4, et HERMAN SCHMIDT, s.j., *Grandeur et misère du rite*, dans « La Maison-Dieu » 35 (1953), pp. 114-115 et 127-129.

(4) راجع الدوجي : منارة الاقداس مجلد اول صفحة ٥٠٩

(5) «Publicae sacraeque processiones seu supplicationes, quibus ex antiquissimo sanctorum Patrum instituto, Catholica Ecclesia vel ad excitandam fidelium pietatem, vel ad commemoranda Dei beneficia ejusque gratias agendas, vel ad divinum auxilium implorandum... continent enim magna ac divina mysteria...», *Rituale Romanum*, Tit. IX, 2, 1 n° 1.

وقد وصف مثل هذه الزياحات المؤلف مقري في قاموسه للالفاظ المقدسة قائلا :

Ad instar exercitus modeste ac devote coordinatur (fideles) vexilla et Crucem praeferendo» cité dans . SOLANO-VENDRELL, *Manual Liturgico*, II, p. 509, Barcelona, 12 ed. 1928 (Macri, Hyerolexikon sacrum).

(6) Movit se, excitavit se ad movendum ترفرف ' ترحرح elevavit alterum inde portavit gestavit plerumque cum pompa quadam, apud PAYNE-SMITH, *loc. cit.*

وعليه تقسم الزياح الى نوعين : ترفرف أمام الجمهور – ترفرف بين الجمهور .

(7) Circumgestio mysteriorum de processione qua circumgeruntur sacramenta, PAYNE-SMITH, *loc. cit.*

ولكن مراده الاول الاشارة عن زياح الشوتة أو مناولة الشعب عن طريق المرور بين صفوفه . وذلك في مقالته عن السريان القاطرة .

Bibl. Orient. III, II, 303....ne quum sacramenta circumferuntur genua quis flectat aut postea porrectus aut caput detegere audeat.

(8) JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, Vol. II, 1re ed. B.A.C., p. 629.

(9) راجع يونغمان :

JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, II, nº 444, edit. BAC p. 1013 : « la Siria, patria de las ceremonias simbolicas y de la fraccion y commixtion...».

(10) تكوين ١٨/١٤

(11) دوجي منارة مج ٣٩١/١

(12) Cfr. RAES, *Introd. in Lit. Or.*, pp. 66-68.

(13) JUNGMANN, p. 631: «Dominicum celebrare te credis, quae in dominicum sine sacrificio venis, quae partem de sacrificio quod oblutit pauper sumis», De Oper. et Eleem. c. 15.

(14) «Erubescere debet homo idoneus si de aliena oblatione communicaverit», Serm. 13, P.L. 39/2238.

(15) «Diaconicon sit a dextra ingressus qui a dextris est, ut eucharistiae sive oblationes quae offeruntur possint cerni». I, 19. ed. Rahmani, 23, apud JUNGMANN, p. 633, note 12.

(16) De eccles. Hierat. III, 2.

(17) P.G. 86/2400 s. JUNGMANN, 633, note 15.

(18) دوجي ١٦/٢-١٧

(19) راجع الدوجي مج ٤٠٠/١

(20) دوجي ٤٠١/١

(21) راجع كتابي :

L'office divin dans l'Eglise Syro-Maronite, pp. 8-21, 35-37, 164-165.

(22) دوجي ٣٨٩/١ et JUNGMANN, II, nº 6, p. 635.

(23) دوجي ٣٩٢/١

(24) دوجي ٣٩٥/١

(25) دوجي ٣٩٤/١

(26) راجع الدوجي ٣٩٥/١

(27) دوجي ٣٩٧/١

(28) دوجي ٣٩٨/١-٣٩٩

(29) دوجي ٤٠٢/١

(30) ١ : كنيسة ملكيصادق / الطيبة : الذبيحة الفطرية في ناموس الطبيعة
٢ : كنيسة هارون / الكلمة : الذبيحة النطقية – الكلام الموحى والقراءات والتسابيح : الثناء والأذكار الصافية
٣ : كنيسة المسيح / السر : الذبيحة السرية او ذبيحة الافخارستيا .

(31) دوجي ٤٨٧/١-٤٩١

(32) دوجي ٥٠١/١-٥٠٤

(33) دوجي ١/٥٢٢

(34) دوجي ١/٥٢٤

(35) دوجي ١/٥٢٧

(36) دوجي ١/٥٢٨–٥٣٠

(37) دوجي ١–٥٣٥

(38) راجع كتابي *L'Office*.. p. 18

(39) *Douaihi* I, p. 539

والدليل على الوقوف في الكنيسة عادة نجده في كلمة circumstantes ونعني بالحرف الواحد واقفين حول (المذبح) وحيطين به وقوفاً .

(40) Id., *Lc*., p. 540.

(41) I, p. 541. دوجي

(42) I, p. 542.

(43) P. 545.

(44) Jungmann, p. 567, I, nº 569 nota: «Remigio de Auxerre dice que el evangelio de Cristo estaba accompanado de un gran sequito «Tamquam persona praepotentis» (Expositio, P.L. 101, 1248A).

(45) Cfr. Karl Bernhard Ritter, *Liturgische Erneuerung und Einheit*, in Ruf zur «Una Sancta», 1960, als manuscript.

(46) Ad Philad. 5, I «Mon refuge, c'est l'Évangile, qui est pour moi Jésus-lui-même en chair, et les Apôtres qui sont à mes yeux le presbiterium de l'Église». Cfr. *Les Pères apostoliques*, par Aug. Lelong, p. 73, Paris 1927.

(47) Constit. Apost. II, 57, 7.

(48) Jungmann, I, 572, nº 575.

(49) Cfr. Jungmann, *op. cit.*, 344, nº 316 y nota 4.

(50) Summa Theol. III, 9, 73, 4 corp.

(51) يقول يونغمان حرفيًا :

Mit dem Begriff des Opfers allein das innere Geschehen (in der Messfeier) nicht vollends ausschöpfen kann...) Cf. Liturgisches Erbe... p. 378.

(52) Cfr. Jungmann, *op. cit.*, vol. II, nº 458. «Nec proprie communio dici potest, nisi plures de eodem sacrificio participant».

Bertoldo de Constanza, Micrologus, c. 51 (1100), apud Jungmann, p. 961, v. II, nº 383, nota 1º.

S. Thom. «Respectu rei praesentis, scilicet ecclesiasticae unitatis, cui homines congregantur per hoc sacramentum» dicit enim Damascenus IV. Libro(De fide Orth. c. 13, MG.91/1153) quod dicitur communis qui communicamus per ipsam Christo; et quia participamus ejus carne et deitate et *quia communicamus ei mutuo ad invicem per ipsum*».

Summa Th. 3, 9, 73, a 4 corp.

Cfr. Jungmann; *op. cit.*, p. 961, Vol. II, nº 383.

الذبائح منها للشكر وتؤكل (احبار ٢٢/٢٩–٣٠)

ومنها قربان تقدمة (احبار ٣/٢) ويؤكل منها ويفتر الباقي

ومنها قربان محرقة (احبار ٩/٢) ويفتّر الكل . وخروف الفصح يؤكل بكامله (خروج ٧/١٢) .

(53) Cfr. JUNGMANN, p. 1089, v. II. nº 549 nota 34.

(54) دوجي ٥٥٥/٢

(55) دوجي ٥٥٨/٢

(56) دوجي ٧٥٨/٢

(57) Cfr. S. Justin Apol. I, 65 et 67.
SOLANO *Textes Eucharist.* I, 61 et 63.
item, JUNGMANN, *op. cit.*, p. 111, v. I, nº 91.

(58) Conc. Laodic c. 44, Mansi II, 571.

(59) Cfr. Codic. Egipcio de Rossano, y de Rabulas, apud JUNGMANN, p. 1086, nota 18, v. III, nº 544.

(60) Aphraates Hom. 7, 8 apud JUNGMANN, 1089, nota 36.
«et Dominum diligunt, ejusque vulnera delingunt, dum ipsius Corpus suscipientes, sibi ante oculos propositum lingua lambunt, sicut canis herum delingit» Aphraates Demonstr. 7, 21, Solano, Textos, 316 I v.
« Manducant enim agnum festinanter, in timore et tremore, pedibus insistentes (= de pié)... idem, Demon, 12, nº 9.
Solano, Textos, I, nº 327.

(61) Cfr. SOLANO, *Textos* I, 316-317, 334 Ciril Hyeros, *ibid.*, nº 497-498. Teod. de Ciro ib. II, 790. In cantic P.C. 81/53 AC.

(62) Cfr. JUNGMANN 1105 vol. II, nº 569, nota 6. «Cantando salmos aleluiaticos. ib. 1106 nº 570, antifonales (o responsoriales) para alargar el canto segun las exigencias de los procesiones (o comuniones), JUNGMANN, p. 659, v. II, nº 28.

(63) دوجي ٦٩/٢ (64) دوجي ٥٧٠/٢ (65) دوجي ٥٧٤/٢

(66) Apol. I, 65/67. «Los diaconos dan a cada uno de los presentes a participar del pan y del vino y del agua eucharistizados, que tambien elevan a los ausentes... y a los ausentes se le envia tambien por medio de los diaconos», SOLANO, *Textos Euc.* I, nº 91-93.

(67) واخذ خبزاً! ورفع (عينيه) الى الله الآب وشكر .

Cfr. JUNGMANN, II, nº 1, p. 629-630.

Es Kommt also an dieser Stelle in Wort und Gebärde der Opfercharacter der Eucharistie zum Ausdruck, und zwar Opfercharakter in dem sinn... nämlich auch schon die materiellen Gaben vor ihrer Verwandlung Gott dargebracht werden also schon ihnen die Bewegung auf Gott hin mitgeteilt wird, die endgültig den verwandelten Gaben, dem Leibe und Blute des Herrn, zukommt.

Das dabei gebrauchte Wort ἀναβαίνουσαι kommt auch im klassischen griechisch als Opferterminus vor.

Opfern heisst ja wesentlich: Gott zum Ausdruck der Huldigung eine Gabe darbringen. Man kann den unsichtbaren Gott eine Gabe nicht in die Hand geben; man kann sie nur von sich weggeben und diesen Weggeben mit Worten oder Zeichen begleiten die bezeugen dass die Gabe von Gott gehört. Die dafür verwendeten Zeichen können verschieden sein; ein Niederlegen oder verschütten an heiligen Stätte, ein Zerstören oder Verbrennen oder ein einfaches einige

genheben in die Richtung, wo Gott «wohnt». Das letztere kommt auch durch das προσέκκυνα: zum Ausdruck (Darbringung, offertorium).

Cfr. J.A. JUNGMANN, *Liturgisches Erbe und Pastorale Gegenwart*, Tyrolia Verlag, Innsbruck, 1960, pp. 367-368 s.

اما عن معنى التقدمة بذاتها فمن الموافق ان تراجع المقالة الاخرى ليوفقان حيث يفهم منها ان حركة اليد للتقدمة قد تكون تابعة للوليمة اكثر منها للذبيحة :

«Ja es ist mindestens in hohem Grade wahrscheinlich dass eine Darbringungsgebärde schon zur Zeit Christi zum *Ritus des feierlichen Mahles gefordert war*, und zwar sowohl zum eräffnenden Brotbrechen wie zum Abschliessenden Dankgebet, das der Hausvater mit erhobenem Becher sprechen musste,— dass also schon der Herr selbst einen solchen Ritus beobachtet hat ». *Op.cit.*, p. 378.

(68) راجع الدوجي ١٩/٣ :

(69) J. M. HANNSENS, *Institutiones Liturgicae de ritibus orientalibus*, T. II, IIIa (Roma 1930-32).

(70) J. A. JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, trad. espag. B.A.C. 2 ed. 1953.

(71) «Il est à croire que avant le Vème siècle, cette procession (grande entrée) était destinée à apporter à l'autel une parcelle consacrée à un précédent sacrifice; cela expliquerait bien des rites de cette cérémonie (= chez les byzantins). C'est au XIVème siècle que la cérémonie actuelle a été définitivement développée et réglée. A cette procession les diacres portaient les pains et les calices.»

Cfr. DOM MOREAU, *Les liturgies eucharistiques*, Paris, 1924, p. 134.

(72) R. GUARDINI, *Vom Geist der Liturgie*, trad. espag., pp. 160-161, Barcelona 1945.

(73) IDEM, p. 178.